ثورة مشايخ "بني يزيد" بين الرواية الشفهية والوثيقة التاريخية

د/ الهادي غيلوفي

المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بتوز

جامعة قفصة تونس

- مقدمة :

التاريخ يكتبه المنتصرون لا ريب أن هذه المقولة مازالت تحتفظ بالكثير من ألقها رغم قدمها النسبي ومن ثم فان الباحث المتقصي لن يعدم أدلة وقرائن للبرهنة على مدى صحتها ونفاذها. ولكن الذاكرة الشعبية لا تزال تحفظ العديد من الروايات عن الأحداث التاريخية فأي محاولة للمقارنة بين ما تحتفظ به الذاكرة الشعبية والوثائق التاريخية تبدو للوهلة الأولى صعبة إلى حد ما فبالنسبة للمستعمر يعتبر كل من يخرج عن إرادته قاطع طريق وخارج عن القانون أما بالنسبة لأبناء جلدته وقبيلته تعتبر بطلا وتشكل سيرته مصدرا للإلهام وخزانا لتغذية الذاكرة وهذا الإعجاب يصبح مصدرا لنسج الروايات التي تتداول من جيل لجيل ومصدرا للفخر والاعتزاز وهي لا تخلو من المبالغة.

هذه المفارقة بين الرواية الشفهية والوثيقة التاريخية كانت إلى حد بعيدا إحدى أسباب تناولنا لهذه الأحداث محاولين المقارنة بينهما دون السقوط في المبالغة ولكننا أيضا سوف نعمل على بعث الروح في الوثائق الميتة من خلال تطعيمهما بالرواية الشفهية التي سوف نتعامل معها بحذر شديد ولا بد من الإشارة إلى أننا سوف نعتمد بشكل مكثف على ما دونه المونوقرافي التونسي المشهور محمد المرزوقي الذي كان له السبق في هذا المجال إذ مثلت أعماله

تدوينا لذاكرة أشرفت على التلف فقام بأعمال متميزة في تدوينها وإن كانت أعماله لا ترقى إلى الكتابة التاريخية الأكاديمية غير أن لها قيمة علمية لا يمكن إغفالها حيث أن أغلب رواياته المدونة اعتمدت على الذاكرة الشعبية من روايات وأشعار لأشخاص كانت لهم صلة وثيقة بأبطال هذه الروايات دون أن ننسى الرجوع لبعض الروايات التي سوف نجمعها معتمدين أصول تدوين الوثيقة الشفهية وذلك بالاستعانة بالوثائق التاريخية التي تمكنا من الحصول عليها من خزائن الأرشيف الوطني والأرشيف الفرنسي مستغلي انتمائنا الجغرافي لهذه المنطقة و هو الجنوب التونسي.

1- ثورة مشايخ بن زيد من خلال الرواية الشفهية :

كما ذكرنا فأننا سوف نعتمد بشكل مكثف على كتابات المرزوقي ولا سيما كتابة المشهور دماء على الحدود فالمرزوقي استطاع من خلال المقابلات التي أجراها في فترة مبكرة جمع أخبار ثورة في زيد من "أفواه الرجال" الذين كانت لهم صلاة قرابة برجالات هذه الثورة فهو يرى أن أسباب الثورة تعود بالأساس إلى محاولة استغلال جماعة الاتحاد و الترقي للشعور الديني لدى المسلمين من أجل خلق متاعب لفرنسا التي تقود الحلف المعادي لتركيا "وكانت تركيا، أو على الأصح جماعة (الاتحاد والترقي) الماسكون بزمام الأمور في ذلك العهد، يدركون جيدا تعلق المسلمين بمركز الخلافة الإسلامية، فأرادوا أن يستغلوا هذا الشعور لصالحهم فأصدر شيخ الإسلام بالأستانة فتوى في وجوب إعلان الجهاد المقدس من كافة المسلمين، ضد دول الحلفاء أعداء الإسلام، فانتشرت هذه الفتوى في عموم البلاد الإسلامية فأثارت صعوبات لانكلترا في الهند، وفجرت حماسا للثورة والعصيان في الشمال الإفريقي. واغتنم التونسيون المهاجرون في تركيا هذه الفرصة وفي مقدمتهم الشيخ (صالح الشريف) الموجود بتركيا منذ 1906 و(علي باش حامبة) المهاجر إليها اثر إبعاده في واقعه الترام سنة 1912 اغتنموا هذه الفرصة فاجتمعوا وتداولوا في الأمر مع القادة الأتراك،

وأرسلوا رسلا برسائل إلى بعض الشخصيات التونسية بتونس، عن طريق طرابلس التي تحركت من جديد لطرد الايطاليين الغاصبين، ووصلت هذه الرسائل من طرابلس إلى العاصمة التونسية بواسطة رجل اشتهر بأنه أخطر رسول يستطيع أن يحمل الأوامر السرية، دون أن ينتبه إليه أحد، هذا الرجل هو الشاب (مصباح بريبش الغيلوفي) من قبيلة (بني يزيد) سكان حامة قابس، الذي كان في وصفوف المجاهدين الليبيين منذ سنة 1912 وكان معروفا من قبل الضباط الأتراك الذين شاركوا في الجهاد الليبي، وتضمنت الرسائل وجوب الدعوة للجهاد، والاستناد إلى الحدود الليبية العامرة بالمجاهدين، ومن بينهم بعض الضباط الأتراك، أما السلاح فستوفره لهم تركيا بواسطة الغواصات الألمانية"[1].

هذه الرواية التي يوردها المرزوقي تعود إلى روايات جمعها المؤلف دون أن نجد رجوعه لأية وثيقة أرشيفية ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الرسائل التي قام مصباح بريبش بمهمة نقلها من طرابلس لم يعثر عليها ولا نعلم من حررها ولكننا وجدنا إشارات إليها من ملفات الموقوفين حيث يتكرر سؤال الموقوفين عن هذه الرسائل ومدي علم المستوجب عنها حيث ينفي أغلب الموقوفين معرفتهم عن موضوع هذه الرسائل أما لعدم اطلاعهم عنها فعلا أو لنفي التهم الموجهة إليهم حيث أن أحد المتهمين وهو محمد بن الحاج محمد بن فرح الغيلوفي قد نفى أي علم له بهذه الرسالة الموجهة من الشرق في محضر استجوابه من طرف الجندرمة بتاريخ 23 سبتمبر 1917"[2].

ولهذا المتهم ملف في السلسلة "ج" تحتوي على ملف أمني تحت عنوان الأشخاص المشبوهين وهو ما يدل على أن هذه القضية تندرج ضمن الإجراءات الأمنية التي تقوم بها سلطة الحماية وكان فعليا مراقبا مراقبة دقيقة حيث أننا عثرنا في ملفه على تقارير البوليس الفرنسي حول تحركاته بالعاصمة والأشخاص الذين يتردد عليهم ومن بينهم المدعو على بن حسن فارس الحامي الطالب بالمسجد الكبير (الزيتونة) و هو ابن عم المدعو علي بن عمار فارس

الموقوف حاليا بمجاز الباب و يذكر التقرير أن المدعو محمد بالحاج محمد قدم للعاصمة بتاريخ 28 أكتوبر 1918 من أجل العلاج[3] ويظهر أن هذا المشتبه قد تحصل على إذن خاص لزيارة تونس لمدة ثمانية أيام وفي تقرير بتاريخ 11 أكتوبر يؤكد أن هذا الشخص قد نزل بمقهى 13 شارع الحجامين وأنه استطاع الحصول على غرفة ليقيم فيها.

ويصر المتهم مرة ثانية في تحقيق أجري معه بتاريخ 2 أكتوبر 1917 على اعترافاته السابقة ويصر على أنه كما عمه الحاج عمر محتجزين حول مسألة لا علاقة لها بها وهي الرسالة المرسلة من طرف خليفة بن عسكر حيث أنه لا علم له بهذه الرسالة وأنه لم يسمع عمه الحاج عمر يتحدث عن هذه الرسالة في أي مناسبة حيث أنه يسكن بعيدا عن عمه وأن لا علم له بقدوم ابن عمه مصباح إلى تونس منذ سفره إلى طرابلس وأنه لم يسمع من عمه حديثا "عن حسن القلاتي وأن لا علم له بأي علاقة يجمع بين عمه وبين المدعو حسن القلاتي"[4].

إن موضوع الرسالة الواردة من الشرق شكل محور استنطاقات أغلب الموقوفين في ما يعرف بثورة بن زيد وذلك بالإضافة عن علاقاتهم بحركة الشباب التونسي ولا سيما حسن القلاتي الذي يبدو أنه كان على علاقة بزعماء الحامة فنفس الأسئلة تكررت تسمع أحد المتهمين وهو السيد علي بن عمار فارس الذي أكد على أنه من عائلة أعيان إذ يقول "لا أفهم سبب اعتقالي فأنا انتفى إلى عائلة موالية لدولة الباي وأنه عند قدوم قوات الاحتلال أعلنا تأييدنا لها وقد عارضة شخصيا سنة 1915 خروج خليفة الحامة عن الدولة الفرنسية المدعو عمار بن عبد السلام بن سعيد وأني لم أوّقع عن الرسالة الموجهة إلى نورى باشا ولم أسمع إطلاقا عن اتصالات مع أي عدو لفرنسا ولكنني سمعت فقط عن أخبار الحرب الايطالية التركية وقد كان جدي وجيها بالمنطقة معروف لحسن سيرته وهو الذي كان يهتمّ بي وكان أبي شيخا ووليت بعده المشيخة .

ولذلك لا يمكن أن أكون متورطا في العداء لفرنسا ولم أطلب إطلاقا إطلاق سراح أعيان بن غيلوف الخمسة الذي اتهموا بالاعتداء على قافلة البريد بالبحائر"[5].

فالمؤكد أن السيد علي فارس يحاول نفي أي علاقة له بجماعة بنغيلوف أو التوسط في إطلاق سراح الأشخاص الذي اتهموا بالاعتداء على قافلة البريد التي اتهم فيها الغياليف نظرا لاتهام مصباح بريبش بالهجوم على هذه القافلة وتم إيقاف أقاربه لاتهامهم بمشاركته في هذه الحادثة ولعل الشيخ يدحض التهمة عليه.

وهي التوسط الإطلاق سراحهم من أجل نفي اتهامه بالتحضير للثورة مع هؤلاء المتهمين وهو بذلك يريد دحض التهمة من أساسها ولا نعلم على وجه التحديد علاقته الفعلية بالغياليف ولعله قام بمهمة التدخل لدى الخليفة من أجل تبرئة أصدقائه الغياليف ولكن الاعتراف بعلاقته بالغياليف سوف يثبت التهمة الثانية وهي مشاركتهم في التحريض والأعداد لثورة لأن المتهم الرئيسي في هذه القضية هو مصباح بريبش ابن أحد الموقوفين وهو عمر بن فرج الغيلوفي وابن عم الموقف الموقوف الثاني محمد بن محمد بن فرج الغيلوفي ولعل الشيخ علي فارس يحاول نفي أي علاقة له بهؤلاء المتهمين.

ولكن الشيخ علي فراس على عكس المتهم الأول محمد بن الحاج محمد اعترف بمعرفته بالمدعو حسن القلاتي ولكنه أصر على أن معرفته به لا تتعدي رؤيته في بعض الأحيان حيث يقول "اعرف حسن القلاتي لكن بالنظر فقط حيث رأيته فقط عدة مرات في الوزارة ولا تربطني به أية علاقة وعلى حد علمي فلا علاقة له إطلاقا مع أشخاص من منطقتي (الحامة)"[6].

ويضيف بأنه لا يعرف شيئا في القضية محور اهتمام السلطات ولكنه لا ينفي معرفته بالحاج عمر ويقول "لا علاقة لي بالقضية التي يهتمون بها ولكن أعرف الحاج عمر وأعرف أن له ابن يدعا مصباح في طرابلس ولم تصلني رسالة على عنواني من طرف ابنه وأني أعرف كل من حبيب الزائر والحاج عمارة بوطارة وسعيد بن عمر ولا علاقة تربطني بهم لأنهم ينتمون لحلف الخليفة القديم

وأريد أن أقول بأنهم من الفريق المناهض للحكومة وأريد أن أقول أنه ليس كل حد علمي بأن هؤلاء الثلاثة المذكورين سابقا أو السيد الغيلوفي قد أعدو شيئا ضد الحكومة"[7].

فالسيد علي فارس لم ينف علاقته ببقية المشايخ فقط بل أكد أنه على علاقة غير ودية معهم حيث أنه يختلف معهم حيث أنهم ضمن فريق آخر يختلف معه وبالتالي أراد بهذا التأكيد على فرضية تؤكد على عدم إمكانية أي تعاون بينهم حيث لا يمكن الحديث عن اتفاق بينهم على القيام بأي عمل عدائي للحكومة بين أشخاص لا اتفاق بينهم لعل السيد علي فارس حاول قدر المستطاع تفنيد فرضية الحماية القائلة بانتماء هذه المجموعة إلى خلية واحدة كانت بصدد إعداد شيئا ما معادي لها وحسب رأي البعض مشروع ثورة غير منجزة أو مجمعة كما يمكن اعتبارها إذا ما أخذنا بفرضية رواية المحدثين اللاحقين الذي أكدوا على أن مشايخهم كان فعليا يعدون لهذه الثورة وكما ذهب المرزوقي في تحليله دون أن نجد ما يؤكد هذه الفرضية أو ينفيها ولعلنا لا نستطيع تأكيد أو نفي مشروع الثورة ولكننا من خلال الوثائق التي اعتمدنا عليها يستطيع أن نرجح أن هناك حديث ما دار بين أعيان الحامة حول إمكانية مشاركتهم في ثورة الجنوب لمناصرة إخوانهم الودارنة ولعل بعض الاتصالات تمت بين هؤلاء الأعيان ومصباح بريبش الذي يصفه المرزوقي بأخطر رسول للثورة نظرا لانتمائه لهذه القبيلة بني يزيد وإذا ما أخذنا برأي المرزوقي والشهادات الشفهية فلا يمكن أن يقوم مصباح بريبش بدعوة بقية القبائل دون أن يدعوا قبيلته للثورة وما يؤكد فرضيتنا هو أن مصباح بريبش كان يتردد وأحيانا على الحامة ولا سيما أنه أنجب أبنه الوحيد سنة 1914 مما يدل على رجوعه لتونس بعد سنة 1912 سنة سفره إلى طرابلس من أجل المشاركة في الحرب الايطالية إلى جانب إخوانه الطرابلسيين.

ولعل موضوع الرسائل كان جوهر قضية المشايخ، فالرواية الشفهية التي اعتمدها المرزوقي تقول بأن المشايخ قد اتفقوا على خطة الثورة "كان يتزعم

حركة بن يزيد كل من المرحومين الحاج عمار بوطارة الكاتب بإدارة خليفة الحامة حينذاك محمد الزواري شهر (بودبوس) الذي أظهر لزعماء الحركة انه معهم وتظاهر بعد أنه للفرنسيين والعمل ضدهم حتى اطلع على خيوط المؤامرة.

هذه المؤامرة التي تم كشفها من قبيل الخليفة محمد الزواري وردت في رسالة لهذا الخليفة عثرنا عليها في ملف الخليفة المذكور حيث اعتبر نفسه قام بعمل متميز وردت هذه الرسالة ضمن طلبه في الترقية ليصبح عاملا وان كنا نرجح أن يكون هذا الخليفة أراد من وراءها إبراز إخلاصه وتفانيه في عمله وهو بذلك بطلب بمجازاته ولعل الخليفة استطاع معرفة خيوط هذه الثورة من خلال بعض من كانت له أغراض ضد هؤلاء المشايخ ولم يجد ما يؤكد صحة ادعائه ولكن الرواية الشفهية تؤكد علم هذا الخليفة بما كان يعده المشايخ وتؤكد هذا شهادة السيد علي بن مصباح بريبش في مقابلة أجريناها معه بصفته ابن زعيم هذه المؤامرة وقد ذكر لنا أن السيد محمد بن الحاج امحمد بن فرج الغيلوفي قد حدثه عن أن الهدف من إشراك المشايخ كان يهدف إلى الأعداد الجيد للثورة ولكن لماذا المشايخ دون غيرهم يذكر السيد علي بريبش بأن والده مصباح وابن عمه محمد بالحاج امحمد أرادوا إشراك المشايخ لأن المشايخ بصفتهم أعيان العروش هم أكثر الناس دراية بأمور عروشهم وبذلك بإمكانهم اختيار الأشخاص المناسبين للمشاركة من حيث الإخلاص والاستعداد للمشاركة في الثورة وكانت المجموعة القيادية تجتمع في مكان قريب من الحامة وهي جبانة الدبدابة وكانت هذه الاجتماعات تعقد ليلا وفي مكان سري حيث لا أحد يزور المقبرة ليلا وكانت المجموعة تتداول في أمور الثورة المحتملة[8].

ويذكر المرزوقي في هذا الإطار بأن الزعماء قد اتفقوا على الخطة وبعد ذلك حرر اتفاقهم وتم تكليف الشيخ الحبيب الزائر بحمل رسالة لا نعلم محتواها لإيصالها مباشرة إلى زعماء الحركة في تونس ولأغلب الضن السيد حسن القلاتي ويورد المرزوقي ما يلي "وبمجرد الاتفاق على الخطة، وتحديد يوم

الثورة، حرر بذلك تقرير لزعماء الحركة بتونس، ضم إلى رسائل أخرى واردة من طرابلس، سافر بها الشيخ الحبيب الزائر إلى العاصمة بواسطة رتل السكك الحديدية من محطة(العونيات) على مسافة 18كلم من قابس، وبادر خليفة الحامة بإعلام المراقب الفرنسي بقابس، وأعلم هذا بدوره إلى زميلة الفرنسي بصفاقس، موضحا له صفات الشيخ الزائر ولباسه، فأمر هذا أعوان الجندرمة الفرنسيين بانتظار القطار بمحطة صفاقس والتفتيش عن حامل التقرير، وسرب السر إلى الشاوس (الطيب الزمزمي، الحامي) الذي كان يشغل وظيفة شاوش صبايحية بمراقبة صفاقس، فدفعته حمية القرابة إلى محاولة إنقاذ ابن عمه الحبيب الزائر فذهب إلى محطة القطار، فبحث بعينه عن الشيخ الزائر، فعثر عليه، فأشار إليه بأن سره قد انكشف، وان الأعوان يبحثون عنه، فعليه أن يتخلص مما عنده، فأسرع الشيخ إلى أكل الرسائل، ولم يهتد إليه الأعوان فاستمر في طريقه إلى تونس.

وفي محطة تونس كان أعوان الجندرمة في انتظاره، يبحثون بعيونهم عنه بين النازلين، كما كان في انتظاره أيضا قريبه مفتاح الزائر، الذي هتف باسمه حين رآه، فلم يبقى شك عنه الأعوان أنه طلبهم، فقبضوا عليه، وسيق إلى السجن كما قبض على زعماء الحركة، وفي مقدمتهم الحاج عمار بوطارة الذي بقي مع الشيخ الزائر رهيني السجن إلى أواخر 1923[9].

لا يجزم المرزوقي قصة المشايخ مع الخليفة هل هو بالفعل نعمد الإيقاع بهم أو أنه كان مضطر ففي رواية أخرى أوردها المرزوقي ذكر "لقد كان الخليفة مخلصا" في أول أمره، إلا أنه في الاجتماع الذي حررت فيه الرسائل المرسلة مع الشيخ الحبيب الزائرة حضر هذا الاجتماع أحد المشبوه فيهم، فلم يتخوف منه الخليفة فقط، بل أظهر التخوف بعض الشيخ الحاضرين، وهمس بما في نفسه للشيخ الذي جلب معه هذا المشكوك في أمره معنى هذه الهمسات فنبه الجماعة إلى خطتهم في هذا الشك، وطلب إحضار مصحف ليقسم عليه يمين الإخلاص

وأقسم فعلا، وبذلك اطمأن بعضهم وبقي البعض الآخر متخوفا، لأنهم كانوا يعملون عن هذا الشخص أنه كان كثير الاتصال بالفرنسيين، واستشار بعض رفاقه في التخلص من هذا المشكوك فيه بالقتل، فلم يصادق الجماعة على هذا الإجراء...وان الخليفة كان أشد الجماعة خوفت "وانه راقب ذلك المشكوك فيه في تحركاته، وبلغة إن الرجل ربما تحول إلى قابس، فأسرع الخليفة دون استشارة أحد، وأبلغ تفاصيل المؤامرة إلى المراقب المدني الفرنسي بواسطة الهاتف، واعلمه بالرسائل التي سافر بها الشيخ الزائر إلى تونس، مدعيا أنه سمح لنفسه بالدخول في هذه الجماعة قصد التوصل إلى جمع خيوط المؤامرة وتفاصيلها، ولهذا ألقي القبض على شيوخ بن يزيد وفضل النبأ بسرعة إلى قبائل الجنوب فسارعت إلى إعلان الثورة"[10].

مهما اختلف الروايات غير أنها تجمع على دورها للخليفة في كشف مؤامرة الثورة كما سبق وأشرت إلى أن الخليفة قد ذكر دوره في كشف المؤامرة غير أننا لم نعثر على أي اعتراف لقادة هذه الثورة على دور للخليفة لا بد من الإشارة أن الاعترافات التي عثرنا عليها أجمعت على إنكار التهم الموجه لهم لأنه لا يمكن لأي متهم إثبات التهمة الموجهة إليهم حيث نفى جميعهم أي علم لهم بالرسائل ونفوا جميعا أي اتصال لهم بالمدعو مصباح بريبش بما فيهم ابن عمه محمد بالحاج امحمد الذي أكد لنا ابن عمه على بريبش ابن مصباح أن الرجلين كان يجتمعان ويخططان للثورة مع بقية المشايخ لا بد من الإشارة أننا لم نتمكن من العثور على ملفات المتهمين الرئيسيين في الثورة وهم الحاج عمر بن فرج والشيخ الحبيب الزائر والحاج عمار بوطارة الذين صدر فيهم حكم مما يوضح لنا جانب من الثورة المؤامرة وعلى أي أساس صدر ضدهم الحكم لأن بقية المجموعة لم تصدر ضدهم أحكام بالسجن بل صدر ضدهم حكم بالتغريب إلى مجاز الباب لمدة سنة دون السنة أشهر التي قضوها في السجن كموقوفين.

إذا كانت هذه الثورة المزعومة حقيقة أو خيال غير أن السلطات الاستعمارية كانت مستنفرة أمنيا ولم توفر أي جهد للقبض على أي شخص تحوم حوله الشكوك أو أي شخص علمت أنه حمل رسالة إلى منطقة الأعراض عموما وخاصة حامة بن يزيد في هذه الفترة ففي 22 أكتوبر من سنة 1917 تم القبض على امرأة قادمة من ليبيا تبين أنها تحمل رسالتين من أشخاص طلبا منها أيضا لها إلى أهلهم فتم إيقاف هذه المرأة وتم التحقيق معها واستجوابها وأعلمت المحقق إن لا علم لها بأي رسالة ولا علاقة لها بين يزيد[11] وهي لا تعرف أي شخص من هذه القبيلة وأنها لم تدخل الحامة إطلاقا وقد تين أن الرسائل التي نحملها هذه السيدة لا علاقة لها بالرسائل التي يتم البحث عنها.

لعل حالة الحرب التي كانت تعاني منها فرنسا وتخونها من الثورة والعصيان دفعها لاتخاذ إجراءات أمنية مكثفة وقاسية حيث أن هذه المرأة تعرضت للسجن لا لشيء لمجرد الاشتباه فيها حيث أصبح كل من يدخل المنطقة معرضا "للتحقيق والاعتقال وهذا ما تعرض له كذلك المدعو علي بن عمر بالحاج عبد القادر الحامي القاطن بتونس منذ سنة 1910 ولكنه يتردد على بلده الحامة وصادف وجوده في هذه الفترة بداية أكتوبر 1917 وتعرض للتوفيق والتحقيق حيث أكد في البحث الذي أجرى معه سماع بعض الأخبار عن الثورة.

وذلك عن طريق السمع وتتمثل الأخبار الرائجة في سوق الحامة بأن الشيخ الحبيب الزائر سافر إلى تونس وأنه سوف يلتقي بأحد الزعماء الطرابلسي هناك وأن بعض الرسائل التي عثر عنها عند بوطارة واردة من سليمان الباروني والشيخ سوف الذين يرسلون بتحياتهم لحسن القلاتي ولا أعلم إذا كان السيد حسن القلاتي هو ممثل الطرابلسي بتونس أم لا"[12].

لعل هذا ما أورده الموقوف حقيقيا حيث أنه سمعه كالحديث كان رائجا في الحامة " بعد إيقاف المجموعة وربما يكون مجرد تأويلات عن أسباب إيقاف المشايخ من طرف العامة حيث ذكر أنه سمع هذه الأحاديث من أناس لا يعرفهم

وذلك حماية لمن حدثه أو أنه فعلا لا يعرفهم ويضيف الموقوف "بأن بوطارة في علاقة بالطرابلسين وخاصة الشيخ سوف الثائر منذ فترة طويلة ولكن لا علاقة لي لحسن القلاتي ولكن شاهدته مرة بالوزارة حيث أنه معروف لأنه محامي ولكن اسمع عن مصباح (بريش) الموجود حاليا بطرابلس الذي هو على اتصال بوالدة الحاج عمر وهذا معروف لدى كل بن زيد وكل المشايخ ولكن لا أعلم شيئا دعوه نوري باشا للثورة ولا أعلم شيئا عن رسائل خليفة بن عسكر. ولكن اعرف كل من بوطارة لحبيب الزائر وسعد بن عمر ولكن لا اعلم إذا كان هؤلاء يعدون لثورة ضد فرنسا ولا اعلم كذلك أن كان لهؤلاء علاقة بحسن القلاتي"[13].

لا بد من الإشارة بأن أسباب إيقاف كل من علي بن عمر بالحاج عبد القادر والمرأة الليبية المدعوة مبروكة يعود إلى تشكيك سلطات الحماية إلى كل من يفد من طرابلس أو من تونس العاصمة بهدف نقل رسائل و ذلك من أجل البحث عن خيوط الثورة التي يتم الإعداد لها في تونس انطلاقا من الحامة التي أصبحت في نظر السلطات الفرنسية مركز للثورة وصلة وصل بين الثوار الطرابلسيين و حركة الشباب التونسي نظر لوجود أحد أبناءها في طرابلس ويعتبر أحد أبرز دعاة هذه الثورة أو الرسول الخطير كما ذكر المرزوقي.

هذه الفرضية يمكن تأكيدها من خلال المخاوف التي أبدتها السلطة من هذه المنطقة المعروفة حسب رأيها بالاستعداد الدائم للتمرد ولذلك فان السلطات الاستعمارية قد أولت اهتماما "خاصا" بهذه المنطقة وكانت تطلب تقارير مفصلة حول أحوالها وحول الأفكار الرائجة ففي تقرير مؤرخ في 31 أوت 1918، أعده عامل الأعراض يؤكد بأن أهالي المنطقة يتابعون بشغف أخبار الحرب الدائر على الحدود وان الأهالي يضخمون هذه الأخبار حيث يقول "ولنتكلم الآن عن الأخبار التي تخص الأحوال الجارية بطرابلس حسب الإشاعات الرائجة بينهم وفي تلك الأخبار المشاعة في الوقت الحاضر هو أن خليفة بن عسكر الناهب الشهير لديه قوة تجمع على 1300 نفر كلهم تحت طاعته أوامره التي لا تقوم إلا بالسرقة

وشن الغارات كما يروج غير ذلك من الأخبار وهي أن المسمى شيخ سوف والباروني مشتغلان الآن تحت أوامر المدعو نوري باشا يجمع العساكر لجهات بساطو وبوعجيلة وغيرها من الجهات وان لديه عدة ضباط آخرين أكبرهم رتبة اسمه إسحاق باشا وان الذخائر الحربية ترد لهم على طريق مرسي مسراطة.

كما أنه لا يفوت أيضا "الكثير من الأهالي العلم لبعض الوقائع التي تقع بين الثائرين الطرابلسي والطليان بجهات زوارة أو كحادث النهب الأخير الواقع على قافلة التموين جهة ذهنية وان انتشار الأخبار المشار إليها يقع بواسطة المسافرين القادمين من جهات الدوائر الحربية فسيرى الخبر ويروج من جهة إلى أخرى مع ما يشوبه من مبالغات إلى أن يعم غالب جهات الأعراض كما أن بعض العساكر الذين في جهات لحدود يحكون بعضها لأقاربهم عند ورودهم في رخص "[14].

هذا التخوف من أحداث طرابلس لديه مباشرة حسب تقرير العامل حيث أن تقارب منطقة الحامة خصوصا "والجنوب عموما" مع طرابلس ليس جغرافي فقط ولكنه من حيث الطباع والعادات وهو بحسب رأيه يساهم في حالة التعاطف بينهم وربما يسبب في حدوث شيء ما في هذه المناطق وهو ما دفع العامل للتجاسر والتدخل في نشأة ربما ليس من اختصاصه وذلك بتقديم بعض المقترحات التي تجنب المنطقة الهزات ومن بين هذه المقترحات هو عدم اشتراك أبناء هذه المنطقة الجنوبية في القوات الموكل لها حماية الحدود وذلك لتكرر حالات الفرار وهو يقول "و بهاته المناسبة استمنح العفو سلفا" للخوض في الموضوع الآتي الذي هو من خصائص جناب الإدارة العسكرية لان واجب الإخلاص يحتم علينا التعرض له وهو أنه بوجود بعض عساكر الجهات الجنوبية معينين لحراسة الحدود الطرابلسية أو ماكثين بالمراكز القريبة من الحد مع أن وجود العساكر المشار إليهم أين ذكر يأتي منه أمرين وهما سريان الإخبار بواسطتهم عندما يمنحوا الرجوع لأوطانهم من رخصة عائلته وفلاحيه. وارتكاب بعض منهم الفرار لجهات طرابلس حيث وقع ذلك في

حوادث أم السويف وغيرها على أن الفرار ناجم فيما يظهر عن ميل الفار للخروج من رقبة الانقياد العسكري والانضمام لشراذم النهب والإغارة ومما يسهل لديه ارتكاب ما ذكر ملائمة طقس طرابلس ومقاربته لطقس جهته التي تنشأ فيها وقس على ذلك تقارب المعيشة والعوائد لأنه لا يخفي أن القبائل الجنوبية كثيرة المشابه في الأخلاق وبعض العادات لسكان الحدود الطرابلسية ولهاته المشابهة يسهل من لازمة لهم نحو وطنهم ارتكاب الفرار بخلاف لو كان جل هؤلاء العساكر من سكان الجهات الوسطى فانه يفسد عنهم الفرز لما يوجد من البون البعيد بين طقس مسقط رؤوسهم وبين طقس الجهات الطرابلسية القاحلة الحارة القليلة المياه وان إحصائية الأنفار الفارين من الجندية لطرابلس تثبت أن غالبهم إن لم نقل كلهم من سكان أعمال الجنوب كما أن عند رجوع عساكر الجهات الوسطى من رخص فان ما ينقلونه لذويهم من أخبار لا يكون له تأثير مثل ما يكون للجهات الجنوبية للأسباب المقرة آنفا ولبعد المسافة"[15]

يقدم العامل عدة أسباب لطاهرة فرار عساكر الجهات الجنوبية وهي في أغلبها صحيحة فتقارب أهل الجنوب مع أهل طرابلس لا جدال فيه على جميع المستويات الأخلاقية كالحماسة وعدم الرغبة في خدمة المستعمر ونزعتهم للثورة وكرهم للظلم وخاصة إذا كان هذا المستعمر من غير دينهم فهم ينظرون إليه كعدو لا كصديق بالإضافة إلى الروابط العائلية التي تربطهم بإخوانهم في طرابلس وما يؤكد هذه الفرضية هو التحاق أعداد كبيرة من أهل الجنوب لنصرة إخوانهم في الدين في وجه الاستعمار الايطالي و تعد ثورة الجنوب إحدى مظاهر رفض الاستعمار مهما كانت جنسيته فرنسية أو ايطالية ولعل خروج مصباح بريش والده الحاج عمر وابن عمه محمد بالحاج امحمد العدد الوفير من أبناء الجنوب أفضل دليل على رغبتهم في الجهاد إلى جانب إخوتهم وهؤلاء الجنود التي يتحدث عنهم العامل هم

إخوتهم الذين وقع تجنيدهم غصبا ودون رضاهم ولكن مع اندلاع الحرب هان عليهم أن يواجهوا أبناء عمهم و إخوتهم الثوار وانضموا للثورة رغبة منهم في التخلص من الاستعمار البغيض والذي ذاقوا ويلاته في بلدهم والعامل يضيف في تقريره وصف الحالة التي تمر بها منطقة الأعراض عموما ومن زيد خصوصا فهو يصفهم بالتقية اتجاه الاستعمار أي إظهار ما لا يضمرون فهم معادين للاستعمار ولكن تحت بطشه يظهرون حسن النية تجاهه ولكنهم في دواخلهم يناصبونه العداء فهو يقول في وصف حالة بن يزيد تحت عنوان حالة الأفكار في بن يزيد وإخلاصهم نحو الحكومة بما يلي "إن بني يزيد قوم يغلب عليهم الجهل حيث يندر بينهم من حسن القراءة والكتابة وطباعهم تنم غالبا للتصديق بكل ما يصل إلى مسامعهم من أخبار بدون تمحيصها وهاته الصفة نتيجة القيم السائدة على أفكار الكثيرين منهم وان من يعرف منهم حقائق الأمور وعافية الضرر من النتائج نادرا ورغما "على وجود تلك الصفات فان نواياهم تجاه الحكومة تلوح في ظاهرها أنها حسنة ولكنهم سريعو لما يأمرون به من لدن الولاة المحليين بشرط تفهمهم ماهو الواجب عنهم"[16].

ويطلب العامل في نهاية تقريره من الحكومة تحسن ظروف هذه المنطقة المعيشية والصحية من أجل كسب ود بني يزيد من خلال شراء المواد التي ينتجونها وتوفير طبيب وخاصة أن الحالة الصحية للمنطقة سيئة بنتيجة الحرارة المرتفعة وتفشي الأمراض فهو يرى بأنه عن طريق هذه التقديمات المعيشية والصحية يمكن أن تتحسن صورة الحكومة أمام هؤلاء وبذلك ينزع فتيل العداء للحكومة.

هذا التقرير يبدوا في ظاهر دراسة للحالة الاقتصادية والاجتماعية ولكن أسبابه أمنية بالدرجة الأولى لأن الحكومة لم تكن لتلتفت إلى مشاكل الأهالي لولا الوضع الأمني المضطرب نتيجة النقمة السائدة في منطقة الجنوب نتيجة نوافذ الأخبار عن هزائم الجيش الفرنسي أمام اخواتهم الودارنة مما حرك فيهم أمل التخلص من الاستعمار البغيض وضن هذه الراية تم الأعداد للثورة من قبل

بني يزيد استجابة لنداء الواجب الوطني الديني فالفرنسيين في نظرهم هم أعداء الوطن والدين و هنا لا بد من الإشارة بأنه من الصعب جدا الفصل بين مسألتي الدين والوطن فالوطنية في تلك الفترة لم تكن واضحة المعالم بل كانت متداخلة من الدين فالمستعمر احتل الوطن وأهان المسلمين في الوقت نفسه وبالتالي لا يمكن أن نقلل من دور العامل الدين في هذه الثورة

مأساة التغريب وإهانة الأعيان :

تعودنا دائما أن نغفل في دراستنا التاريخية البعد الإنساني في الثورات ولكننا في هذه الدراسة رأينا من الضرورة التطرق لمعانات قادة هذه الثورة الذين كانوا يشكلون أعيان بني يزيد ورغم عدم تفاوت مستوى المعيشة بين العامة والخاصة من حيث رغد العيش والرفاهية غير أن الأعيان دائما كانوا يتمتعون بمستوى معيشي أفضل وما تعرض له مشايخ بن يزيد وإبعاد عن مصدر رزقهم جعلهم يعيشون حالة من العوز والحاجة و الخصاصة مع صعوبة إرسال الأموال وحالة المراقبة المشددة وخاصة إذا ما علمنا انه تم تجريدهم من الأموال التي كانت بحوزتهم بعد إيقافهم وتحويلهم إلى السجن ومن ثم إرسالهم إلى مجاز الباب الذي يختلف من حيث المناخ مع بيئتهم نظرا للبرد الشديد الذي يتميز مجاز الباب وفقدان وسائل التدفئة هذا بالإضافة إلى شعورهم بالظلم كل هذه الأسباب دفتهم إلى إرسال العديد من الرسائل إلى السلط من أجل العفو عنهم وإرجاعهم إلى موطنهم الأصلي والى أبناءهم فالمأساة مزدوجة من ناحية شعور المغربين بالغربة والبعد عن الأهل والموطن مع شعورهم بالخصاصة بعد أن كانوا يتمتعون بمعيشة مريحة في موطنهم هذه الرسائل تعبير فعلا عن مأساة حقيقية وأهم فصولها هو حالة الخصاصة التي عان منها المبعدون وبداية هذه المعانات في السجن ففي رسالة مؤرخة بتاريخ 31 أكتوبر 1917 أي بعد قرابة شهر من تاريخ إيقافهم طلب كل من الشيخ علي فارس والشيخ على بن عمر تمكينهم من أموالهم التي تم حجزها في الإدارة العسكرية بقابس لأنهم في أمس الحاجة للمال

وتقول الرسالة ما يلي "جناب المعظم الفخم سيدي بلان الكاتب العام بالايالة التونسية حرسه الله إما بعد تفخيمكم و تعظيمكم أخير جنابكم إننا النفران، أعلاه لما أخذنا من الحامة إلى قابس على طريق السجن وأتينا إلى قابس إلى الإدارة العسكرية بمحضر السيد الكمدان بقابس وطلبنا في كل من لديه دراهم بدفعها إلى السيد الشاق بالمكان المذكور أعلاه وفي حين ذلك سلما إليه الفصلان أعلاه ووعدنا بتوجيهها إلى الحبس الجديد والآن مضت 28 أيام ونحن مترقبين توجيه ذلك إلى السيد الشاف بالحبس المذكور وإلى الآن لم تأتيه ذلك ونحن محتاجين في ضروريانا وعليه فالمرجو من كمال حزمكم تسعى في توجيه الدراهم، المذكورة أعلاه لمن له النظر دام وجودكم وإحسانكم ودمتم بخير المصححات كتب في 31 أكتوبر 1917"[17].

هذه الرسالة تدل على حالة المساجين السيئة حيث أنهم يعانون من قلة الرعاية وهو ما دفعهم للمطالبة بأموالهم من اجل الحصول على مستلزماتهم الغير متوفرة في السجن وأما المبالغ المشار إليها 31 فرنك لشيخ علي فارس و280 فرنك للشيخ علي بن عمر هذه الرسالة هي بداية لمجموعة الرسائل التي بعث بها المبعدون يشكون فيها حالتهم الصحية المعيشية في بلد لا أحد لهم فيها ففي رسالة ممضاة من قبل المشايخ بتاريخ 20 جوان 1918 يصفون فيها حالتهم ويطلبون فيها صدور إذن بإرجاعهم إلى بلادهم وإذا متعذرا" الإذن بنقلهم لتونس وهذه الرسالة موجهة إلى الكاتب العام بلان ومحتواها يقول انه مضى على تغريبهم أربع أشهر وان سيرهم حسنة وهم يطلبون منه الاسترشاد من جناب المراقب المدني والعامل بمجاز الباب وان أملهم في عدالته وان يعيرهم أذان صاغية وان يقبل طلبهم فتقول الرسالة "ونطلب من الجناب إصدار الإذن من الجناب في رجوعنا إلى بلادنا وإذا لم يمكنهم ذلك يعوضوا بتونس لان حالة صحتنا أخذت في الانحطاط من سوء حالة الطقس وأيضا سيدي لم وجدنا ما تحترفو بها

(نعمل) وان ماليتنا خصيصة جدا فبناءا على هذا نرجو من جنابكم الالتفات إلينا والسلام إلى الراجين إنصافكم وعدلكم"[18].

وفي رسالة سابقة لهذه الرسالة بتاريخ 27 ماي 1918 مرسلة من الشيخ على فراس بطلب نقله إلى تونس لعدم صلاحية ماء هذه المنطقة ولعدم وجود عمل بها وضعف ماليته.

لا شك أن هذه الرسائل التي كان يرسلها المشايخ كانت تعبر عن الحالة الصعبة التي كانوا يعيشونها فهم بعيدين عن أهلهم وارزقاهم وكانوا مستأجرين لبيت ولم تكن الدولة توفر لهم أدنى مستلزمات الحياة اليومية ففي شهادة شفوية للسيد علي بن مصباح بريش ذكر لي أن خاله محمود بن بلقاسم الذي زار قريبة محمد بالحاج امحمد في أواسط سنة 1918 حدثه عن الحالة التي كان يعيشها هؤلاء لعدم توفر الأموال الكافية فعند زياتة في أحد رخصة العسكرية للمبعدين قام قريبه بشراء لوازم العشاء من لحم وكسكسي وخضر وطلب من رفاقه عدم احتساب ثمن هذه الأشياء لان محمد ضيفه هو لا ضيف المجموعة فاحتج رفاقه و قالو يا رسول الله يا محمد 5 فرنكات بكاملها تدفعها لوحدك"[19]

لقد كانت خمسة فرنكات لدى الجماعة، تشكل مبلغا كبيرا لذلك احتجوا على رفيقهم وطلبوا منه عدم التكفل بها كاملة ولا تعلم قيمة الخمسة فرنكات الحالية ولكنها تشكل ثمن عشاء في ذلك التاريخ وفي تلك الظرفية بالذات وإذا ما علمنا أن كل من هؤلاء هو شيخ و إحدى ابرز أعيان قومه فلم يكن ذلك المبلغ يشكل عبئا "لو كان في بلاده وخاصة أن بني يزيد معروفين بالكرم المبالغ فيه فالضيف عندهم يمثل ذبيحة شاه على أقل تقدير ولكن الظروف التي كان يعيشها المبعدون كانت تدفع بهم إلى التفكير مليا في مبلغ 5 فرنكات في ذلك الحين وخاصة إذا علمنا بأن المبالغ المجوزة لدى إيقافهم كانت كبيرة لقد وجد عنه الشيخ منصور التومي مبلغ قدره خمسة عشر ألف

فرنك وستمائة وأربع فرنكات 15604 فرنك والشيخ محمد بن رجب لديه 1460 فرنك والشيخ على فارس 31 فرنك.

لقد عثرنا على ما يزيد من 50 رسالة كلها يطلب فيها المشايخ العفو عنهم لسوء أوضاعهم المعيشية نتيجة تدهور صحتهم لسوء الطقس ولقلة الإمكانيات المادية لعدم وجود عمل بهذه المنطقة وعدم تمكنهم من الأموال اللازمة للعيش هذا هو الوجه الأول من المأساة أما الوجه الآخر هو في الحامة أي لدى أبناء هؤلاء المبعدين فأغلبهم ترك أبناءه وأرزاقه بدون عناية لان الأرزاق تتمثل أساسا في المواشي أغنام وابل والزراعة البعلية كالحرث وغيره ولقد حدثني والدي عمار عن هذه المأساة بحسرة كبيرة حيث تركه والده محمد بالحاج امحمد وعمره 4 سنوات وأخوه عبد الله 10سنوات وكان جدهم متوفى وليس له أعمام وذكر لي أن عائلة من الغياليف لا تربطهم بها قرابة كبيرة قاموا بكفالتهم لمدة سنتين حيث قاموا لهم بعملية الحرث بمساعدة أحد خدام والدهم ويدعي سعد وبقي والدي وفيا "لهذه العائلة إلى وفاة بعدما يناهز 80 سنة اعترافا لهم بهذا المعروف وعن نفس الحادثة تحدث السيد علي بن مصباح برييش الذي سجن جده الحاج عمر وذكر لي أنه يوم إطلاق سراح ابن عمر والده محمد بالحاج امحمد قدم إليه ابن عمار المذكور فرحا بمناسبة رجوع والده من التغريب فسأله علي برييش من هو والدك " أليس والدك سعد " وذلك اعتقادا منه بأن والد ابن عمه عمار وصديقه في اللعب يدعى سعد نظرا لغياب والده وعدم معرفة علي برييش به وقد ذكر السيد علي برييش بأن محمد بالحاج امحمد تعرض لحالة الإفقار[20] نظرا لأنه كان من كبار ملاكي الأغنام والإبل وخلال وجوده في الأبعاد تم بيع أغلب هذه المواشي من أجل إرسال ثمنها له في مجاز الباب ولم يجد منها إلى الندر القليل هذه حالة المعاناة التي عاشها المشايخ وأعيان بني يزيد حالة إذلال وفقر لم يتعودوا عليها هؤلاء من قبل وهو ما دفعهم لمراسلة الكاتب العام بلغة تبدوا قريبة إلى الاستعطاف والمهانة نظرا للظروف القاسية بعيدا عن أهلهم وبلدهم ولعل هذه

السياسة العقابية كان الهدف منها تأديب واهانة الأعيان وكسر شوكتهم لكي لا يعودا مرة أخرى لمجرد التفكير في الثورة ضد المستعمر الذي انتهج سياسة الإبعاد أما داخل البلاد أو للخارج والعديد منهم لم يعد لبلده كحالة الحاج عمر الذي توفي في غار الملح ولا شك إن وفاته شكلت مأساة كبرى لأبنائه عموما ولحفيدة السيد علي بن مصباح بريبش الذي حرم في حنان الوالد الذي لم يشاهده إلى مرتين في حياته وهو مصباح بريبش الذي توفر في ليبيا وكان جده يتكفل بتربية إلى عمر 3 سنوات عندما تم القبض عليه سنة 1917 فهو حرم من الأب والجد وتربى وحيدا مع أمه بعد وفاة أخاه الأكبر ولم تقتصر مأساة على بريبش عند ذلك بل تعرض للسجن و عمره خمس سنوات لمدة 6 أشهر سنة 1919 – 1920 عندما اتهم والده بالإغارة على قافلة بين قابس ونفزاوة ليتم اقتياده هو والدته وأخوه محمد إلى السجن بقابس ورغم صغر سنه غير أنه ذكر في شهادته هذه الحادثة بكل ألم وحسرة حين يتذكر عملية الترهيب التي تعرض لها عندما قدوم المخازنيه و هددوه هو وأخاه بالقتل إذا لم يعترفوا بقدوم والدهم.

- الخاتمة:

هذه المأساة التي عايشها أهالي الحامة التي شملت أغلب العائلات وخاصة أن المنطقة تعرضت للعقاب الجماعي سنة 1919 بعد فشل السلطة من الفضاء على المجاهدين مصباح بريبش ومحمد الدغباجي عمدت إلى إقامة معتقل جماعي بالحامة لعائلات الثوار وذلك من أجل معاقبة العائلات ومنع التموين عن الثوار وذلك من أجل تشديد الخناق عليهم ودفعهم للتسليم هذه الحالة من القهر والاضطهاد والحياة في السجن والمعتقل لا شك أنها كانت الدافع الأكبر لمناصبة أبناء بني يزيد للحقد على الاستعمار هذا الجيل الذي عايش مأساة مشايخ بني يزيد وتعرض العديد من أبناء هذا الجيل للحرمان من الوالد أو العيش في السجن والمعتقل سوف تولد لديه مشاعر كره وحقد على الاستعمار وهذا ما ذكره لي السيد علي بن مصباح بريبش حيث ذكر لي أنه كان من السباقين للانتماء لحزب الدستور سنة 1934 وان ابن عمه عبد الله بن محمد بالحاج امحمد هو من أقنعة بالانتماء.

لهذا الحزب لأنه أكبر منه سنا وانه سنة 1934 ثم اقتطاع ما يزيد عن 30 اشتراكا في الحزب رغم أن بطاقة الاشتراك كانت باهظة الثمن آنذاك وعبد الله هذا هو ابن محمد بالحاج امحمد حيث تعرض هو و أخوه عمار للحرمان من جنان ورعاية الولد سنة 1917 وعلى بريبش ابن المجاهد مصباح وحفيد الحاج عمر هذا الجيل انتسب لحزب الدستور باعتباره الحزب الذي قاد الحركة الوطنية هذا الجيل من أبناء بني يزيد كانوا في انتظار الفرصة المناسبة للثأر من هذا المستعمر كما قال لي السيد علي بريبش حرفنا الثأر للأب والجد وللوطن أن السياسة القمعية والعقابية التي مارسها المستعمر و إن أعطت نتائجها على المدى القريب غير أنها كانت وراء تخمر فكرة الثورة لدى أبناء بني يزيد و هذا يفسر تلك الهبة التي تميزت بها تلك الجهة وانتساب العدد الوفير من أبناءها للثورة المسلحة سنة 1952.

ويمكننا اعتبار أن ثورة 1952 هي امتداد لثورة 1917 أو أن ثورة 1917 المجهضة تبلورت سنة 1952 عندما توفرت الظروف المواتية لذلك ولا يشك بأن أغلب من شاركوا في الكفاح ضد المستعمر في ثورة سنة 1917 أبائهم وأقاربهم لأن التاريخ تراكمات وإذا كانت الثورات الاجتماعية يقودها أبناء الطبقات الكادحة نظرا لشعورهم بالظلم الاجتماعي والحرمان فان الثورات الوطنية يقودها أبناء الطبقات الميسورة دون أن ننسى أبناء الطبقات الفقيرة أو التي فقرها الاستعمار فهناك خيط يربط بين ثورة 1917 المجهضة وثورة 1952 المنجزة فهذا ليس بالمستغرب فمن عانى ويلات الاستعمار كان الأقرب إلى الخروج للجبال وان أبناء الجنوب تميزوا بالثورة المسلحة لأن العمل السياسي كان من اختصاص أبناء المدن الذين يحذقون فن السياسة فان أبناء الأرياف يحذقون فن التمرد والثورة المسلحة فأبناء بن يزيد رغم مشاركتهم الكبيرة في الثورة المسلحة وهذا ما يتفق عليه أغلب المؤرخين فأنه لا بد من الإشارة إلى أن أبناء بني يزيد الذين استقروا في المدن كانت لهم مساهمات ملحوظة في النضال الوطني (السياسي والنقابي) والمثال على ذلك مشاركة محمد علي الحامي في النضال السياسي والنقابي والطاهر الحداد في النضال الاجتماعي والجلولي فارس في النضال الطلابي والسياسي وغيرهم.

إن كان الملاحظ المشاركة المكثفة لأبناء وأحفاد أبناء رواد ثورة 1917 فإننا لا يمكن أن ننكر مساهمة غيرهم من أغلب أبناء عروش بني يزيد فلا يوجد عرش في الحامة لم يقدم مقاومين في الثورة الثانية 1952 دون أن ندخل هنا في ذكر الأسماء ويمكن وان كنا لا ننكر دور أبناء وأحفاد الجيل الأول للثورة ويمكن أن يشير إلى بعض الأسماء على سبيل الذكر لا الحصر إلى أن لكل زعيم من زعماء ثورة 1917 أقارب أو أبناء شاركوا في ثورة 1952 وهم أبناء محمد بالحاج امحمد حسن وعمار وقبلهم أخوهم عبد الله الذي انتسب ونشط في صفوف الحزب الحر منذ سنة 1934 والى علي بن مصباح بريبش ابن مصباح

وحفيد الحاج عمر والجلولي فارس أخ الشيخ علي فارس والحاج السوداني الزاير حفيد الشيخ الحبيب الزاير والكيلاني بوطارة ابن عمار بوطارة وغيرهم من المقاومين الذين خرجوا للجبال انتقاما من المستعمر الذي أهان أهلهم واحتل وطنهم فان هذا التاريخ بحاجة لدراسة أكثر، بالاعتماد على وثائق الأرشيف الوطني والأرشيف الفرنسي دون أن نغفل دور التاريخ الشفوي الذي تعرض للتلف ولعل بعض المحاولات التي قام بها محمد المرزوقي في فترة مبكرة في دراسة مونوقرافية لسير هؤلاء الأبطال أو بعض المحاولات المتأخرة التي قام بها بعض المسرحيين المحليين(الحامة) الذين تعوزهم الإمكانيات المادية والتشجيعات من وزارة الدولة المختلفة وبقيت هذه المحاولات الخجولة أسيرة منطقة الحامة و لم تعرض الأعمال خارج هذه المدينة فعلى الرغم من ذلك لا تزال سير هؤلاء الأبطال تحضى باهتمام بالغ لدى أهل الحامة لما تشكله لهم من عودة لماض يعاد إنتاجه بشكل مستمر.

وان محاولتنا هذه تندرج ضمن هذا الإطار وهي محاولة لنفض الغبار على تاريخ منسي يشكل جزء "هاما" من تاريخ تونس المعاصر لا يمكن إغفاله فإن التاريخ المحلي مكملا للتاريخ الوطني العام وان كانت الدولة الوطنية أعطت اهتماما للتاريخ السياسي فإننا نرى أنه من الواجب علينا كجيل جديد من المؤرخين الاهتمام بهذا التاريخ النضالي (المنسي) المسكوت عنه كرد اعتبار وكجزء من جميل لهؤلاء المقاومين الذين عانوا من محنة الاحتلال ومن محنة النسيان من الدولة الوطنية ومن مؤرخيها الرسمين وتاريخ بن يزيد هو جزء من تاريخ هذا الوطن الذين ناضلوا من أجل استقالة وان هذه المحاولة المتواضعة نندرج ضمن مشروع أكبر لدراسة التاريخ المحلي للجنوب التونسي بدأنا القيام به.

- الهوامش :

I محمد المرزوقي، دماء على الحدود ثورة 1915 الدار العربية للكتاب ليبيا تونس، الطبعة الأولى 1974، ص38

2 أوت سلسلة ج كرتونة 550 15/30، ملف 1190

3 أوت سلسلة ج كرتونة 550 15/30، ملف 1190

4 أوت: سلسلة 6 كرتونه 550 15/30 ملف 1190

5 أوت سلسلة E كرتونة 550 15/30، ملف 1190

6 أوت سلسلة E كرتونة 550 15/30، ملف 1190.

7 أوت سلسلة E كرتونة 550 15/30، ملف 1190.

8 مقابلة أجراها الباحث مع السيد علي بن مصباح ابريس بتاريخ 2006/01/18 بنغيلوف.

9 محمد المرزوي، دماء على الحدود، مصدر سابق، ص42.

10 محمد المرزوقي، مصدر سابق، ص43

11 سلسلة، ج، صندوق 15/30، ملف 1197

12 أوت سلسلة ج، صندوق 550 15/30 ملف 1196، وثيقة عدد7.

13 أوت سلسلة ج، صندوق 550 15/30 ملف 1196، وثيقة عدد7.

14 أوت، سلسلة ج صندوق 550 16/30 ملف 1194 وثيقة عدد3

15 أوت ساسلة صندوق 550 15/30 ملف 1194 وثيقة عدد3

16 أوت سلسلة صندوق 550 15/30 ملف 1194 وثيقة عدد3

17 أوت سلسلة صندوق 550 15/30 ملف 1190 وثيقة عدد34

18 أوت سلسلة صندوق 550 15/30 ملف 1190 وثيقة عدد51

19 شهادة علي بن مصباح ابريس مصدر سابق

20 شهادة السيد علي بن مصباح ابريس مصدر سابق.